

خطبه الجمعة - الخطبة ٠٠٦٥ : خ ١ - الطريق إلى الله ، خ ٢ - أمثلة على ذلك.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٢-١٩٨٤-٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى :

الحمد لله نحمده ، ونستعين به ونسترشد به ، ونعود به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له ولينا مرشدًا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر .
وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمنا ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الطريق إلى الله

أيها الإخوة الكرام ؛ في سورة الأنعام آيات توضح الطريق إلى معرفة الله ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((أصل الدين معرفته))

أصل الدين أن تعرف الله ، قبل أن تعرف أحكامه ، قبل أن تعرف شرعه ، قبل أن تعرف الحلال والحرام ، إن عرفت الله أطعنه ، وإن لم تعرف الله سبحانه وتعالى قد تتحال في شرعه ، الذي يحتال في شرع الله لا يعرف الله عز وجل ، وقال عليه الصلاة والسلام لأعرابي :

((جئتكم لتعلماني من غرائب العلم ، قال عليه الصلاة والسلام : وماذا صنعت في رأس العلم ، قال وما رأس العلم ، قال : هل عرفت رب))

[رواه ابن السنى وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما، وابن عبد البر من حديث عبد الله بن المسور مرسلا]

من هذين الحديث يتضح أنه لابد من معرفة الله سبحانه وتعالى حتى ينجو الإنسان من أخطار الدنيا، حتى ينجو من منزلقاتها ، حتى يعرف الطريق الصحيح .

معرفة الله فرض ، فرض لسعادة الإنسان ، كيف نعرفه ؟ الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ، كيف السبيل إلى معرفته ؟ في سورة الأنعام بين الله سبحانه وتعالى الطريق إلى معرفة الله ، فقال :

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيْمَهُ أَزْرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا إِلَهًا إِنِّي أَرَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَلِكَ تُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوقَنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكِبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازْغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ يَا رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الْشَّمْسَ بَازْغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَتَّىٰ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَةٌ قَوْمُهُ قَالَ أَثْحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِنَّمَا أَنْ يَشَاءُ رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)

[سورة الأنعام الآية: ٧٤-٨٠]

كيف أراه الله سبحانه وتعالى ملكوت السموات والأرض ، وكيف جعله من الموقنين ، وكيف رزقه الله الرؤية الصحيحة ، وكيف أطلعه على الحقيقة الكبرى ، وكيف عرفه ، قال تعالى :

(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكِبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)

جال فكره في ظواهر الكون ، لابد من رب لهذا الكون ، فهو هذا الكوكب .

(فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)

لا يعقل عن هذا الرب العظيم أن يغيب عن الوجود ، فمن يدير الكون في غيابه ، جرت عنده مناقشات منطقية .

(فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)

(فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازْغَا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)

استتبط سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أن هذا الإله العظيم الخالق لابد من أن يهديني إليه ، الذي أمنني بالطعام والشراب ، الذي أمنني بالهواء والماء ، الذي خلق السموات والأرض ، الذي خلق الجبال ، الأنهر ، البحار ، أنواع النباتات ، أنواع الفواكه ، أنواع الأسماك ، أنواع الأطياف ، الذي خلق كل شيء لا يهديني إليه .

(قَالَ لَنِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)

(فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازْغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)

كل هذا الذي رأيته ليس جديراً أن يكون رباً ، لأنه يظهر وبغيوب أما الإله العظيم ، لا تأخذ هذه سنة ولا نوم ، وهو معكم أينما كنتم ، يدير الأمر .. ثم قال :

(إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَتَّىٰ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

لا لهذه الظواهر الكونية ، ولا للنجم ، ولا للقمر ، ولا للشمس ولكن الذي فطرهن ، الذي خلق السماوات والأرض

(إِنَّ وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَتَّىٰ)

يعني مائلاً له بالمحبة بالامتنان ، بالحمد ، بالشكر .

(وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

لا أشرك في عبادته أحداً ، ولا في المحبة ، ولا في الطاعة ، ولا في الميل ، ولا في الخوف ، ولا في الرهبة .

(وَحَاجَةُ قَوْمٍ قَالَ أَثْحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي)

هذا هو الهدى ، أن تتعرف إلى خالق السماوات والأرض ، أن تتجه إلى فاطر السماوات والأرض .

من يملك الحجة ويطبع الله لا يخشى أحداً قط

عندئذ قال سيدنا إبراهيم :

(وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)

هؤلاء الشركاء لا أخافهم ، لا أرجوهم ، لا أحسب لهم حساباً .

(إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)

لقد رأى هذا النبي العظيم أن كل هذه المخلوقات ناصيتها بيد الله يسمح لها ، أو لا يسمح .

(وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا)

هذا هو الدين كله ، أن لا تخاف إلا الله ، وأن لا تشرك مع الله أحداً .

(وَكَيْفَ)

كيف التعجبية .

(وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ

أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

من هو المتمتع بالأمن ، الذي مع الخالق ، كن مع الله ترى الله معك إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك ، من هو الذي يتمتع بالأمن الذي لا حدود له ؟ هو المؤمن ؛ لأنَّه يرى أن كل شيء بيد الله ، وهو مطيع الله عز وجل ، يرى أن العالم كله ، القوى كلها بيد الله ، آخذ بناصيتها.

(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

وهو يحبه ويطيعه ، ويرضيه ، ويقترب إليه ، فـأي أمن كأمن المؤمن ، أي طمأنينة كطمأنينة ،
أي شعور بالراحة كشعوره ، أي راحة قلبية كراحته .

(فَإِنَّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

نحن أم أنتم ؟!

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

استنبط العلماء أنه من ظلم أخيه ، من ظلم مخلوقاً ما ، بـث الله في قلبه الخوف ، وبـث الله في قلبه
الرعب بما ظلم .

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

(فَإِنَّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

كان النبي سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كان يملك حجة على قومه ،
وكذلك المؤمن ، ما من مؤمن صادق إلا ومعه حجة ، حجة قوية على أهل الكفر ، حجة على أهل
الشرك ، على أهل الفجور :

((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِيًّا جَاهَلًا ، لَوْ اتَّخَذْتُهُ لَعْمَه))

(وَتَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ تَرْفُعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْمٌ)

مستحيل أن تكون مؤمناً ولا تملك حجة ، الله سبحانه وتعالى يريك الحق حقاً ، والباطل باطلًا ،
يريك ضلال الناس ، سخفهم ، انحطاطهم تناظفهم في أقوالهم ، ضيق أفقهم ، وترى أنت الحق
ناصعاً كالشمس ترى الأمور واضحة ، الطريق إلى السعادة واضح ممهد ، مفتحة أبوابه .

(وَتَلَكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ تَرْفُعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْمٌ)

وكان الذي يملك الحجة ، أعظم عند الله درجة من الذي لا يملكونها لأن مرتب الرفعة عند الله أن
تكون علمًا ، وأن تكون أخلاقياً ، سمي النبي عليه الصلاة والسلام أحمد في السماء ، لأن الله عرف
فضل الله عز وجل ، ومحمدًا في الأرض ، ومحمودًا عند الله ، وعند الخلق في وقت واحد ، لأنه
عرف الله ، ما الذي رفعه إلى هذا المقام الرفيع ؟ معرفته ، لذلك رتبة العلم أعلى الرتب ، إذا أردت
الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهم معاً فعليك بالعلم .

الله سبحانه وتعالى يعجب ، هل يستوي الدينون والذين لا يعلمون ، قال تعالى :

(أَمْ مَنْ هُوَ قَاتِنٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَاتِنٌ يَحْدُرُ الْأَخْرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هُنْ لَا يَسْتُوِي الَّذِينَ
يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)

[سورة الزمر]

كم هي المسافة كبيرة ، كم هي المسافة شاسعة ، بين الذي يعلم والذي لا يعلم كن عالماً ، أو
متعلماً، أو مستمعاً ، أو محباً ، ولا تكن الخامسة فتهاك .

وهل يعقل أن تتعلم وأنت في بيتك ، وهل يمكن أن تعرف الله وأنت في متجرك ، لابد من حضور مجالس العلم ، العلم يؤتى ولا يأتي الكتاب لا يغنى عن مجالس العلم ، ليس في الكتاب حياة ، في مجالس العلم الحياة ، لذلك :

(وَتِلْكَ حُجَّتَنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)

بالعلم ، وأما بالمال ، فلا قيمة للمال ، ظل زائل ، عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر ، مات خزان المال وهم أحيا ، وهم في أوج حياتهم ، ونشاطهم ، وقوتهم عند الله ميتون ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة .

ربنا سبحانه وتعالى بعد أن سن لنا الطريق ، لابد من التفكير في ملكوت السموات والأرض ، لابد من جولات كثيرة ، في هذه الآيات التي بثها الله سبحانه وتعالى ، لابد من استنباط الحقائق من هذا الكون لابد أن تعرف الله من خلال الكون ..

إن الله في أرضه كتابين ، القرآن ، والكون ، القرآن كون ناطق والكون صامت ، لابد من تأمل في الكون

((تفكير ساعة خير من عبادة سنة))

[أخرجه ابن حبان ورواه أبو منصور الدليمي في مسنده الفردوس]

((لا عبادة كالتفكير))

[رواه ابن ماجه والطبراني عن أبي ذر وفي الباب عن علي بن أبي طالب]

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذَكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقَعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِأَطْلَأْ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقْدٌ أَخْزِيْتَهُ وَمَا لِظَالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)

[سورة آل عمران]

يتفكرون في خلق السموات والأرض ، الله سبحانه وتعالى بعد هذه القصة التوجيهية ، التعليمية ، قال :

(ذَلِكَ هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَهُبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرُ بِهَا هُوَلَاءُ فَقْدٌ وَكَلَّتْ بِهَا قَوْمًا لَيُسُوَّبُ بَهَا بَكَافِرِينَ *

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِداهُمْ افْتَدَهُ فَلْ تَأْسِلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)

[سورة الأنعام الآيات: ٩٠-٨٨]

أولئك الذين : يعني سيدنا إبراهيم والأنبياء من بعده ، اجعل طريقتهم في الهدى قدوة لك ، لذلك قال الله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

[سورة النحل الآية: ٤]

الطرق كلها مسدودة ، إلا طريقاً واحداً ، الإيمان بالأيات ، قال تعالى :

(تَلَكَ آيَاتُ اللَّهِ نَثَرْهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبَأْيَ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)

[سورة الجاثية الآية: ٦]

يعني المؤمن لا بد له من جولة فكرية في ما حوله ، في كأس الماء في كأس الحليب ، في التفاحة ، في أبنه ، في الهواء ، في الماء في الجبل ، في البحر ، في الأسماك ، في الأطiar ، في قلبه ، في شرائينه ، في أمعائه ، في معدته ، في لسانه ، في الشعر الذي زينه الله به ، في سمعه ، في بصره ، في عضلاته ، في أطرافه ، في أصابعه ، في مفاصله ، في جميع أجهزته ، لا بد من أن يفكر ، هذا هو الطريق إلى الله ، قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

[سورة النحل الآية: ١٠٤]

(ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَهُبْطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهُدَاهُمْ افْتَدَهُ فَلَمْ لَا أَسْأَلْمُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)

اجعل طريقتهم في الهدى قدوة لك ، اسلك طريقهم في الهدى ، فكر في الشمس والقمر ، فكر في النجوم ، فكر في المجرات ، فكر في هذا الكون الفسيح .

دعوة إلى الهدى ، بيان لطريق الهدى عن طريق قصة مجدة ، الله سبحانه وتعالى بعد هذه القصة أتبعها بآيات ، قال تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ فَالِيقُ الْحَبَّ وَالنَّوْءِ يُخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيَّتِ وَمُخْرُجُ الْمَيَّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِيقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْغَرِيزُ الْعَلِيمُ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظِلَامَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَلَّنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نُفُسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقْرٌ وَمُسْتَوْدِعٌ قَدْ فَصَلَّنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ثُخْرَجَ مِنْهُ حَبَّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ انْظَرُوا إِلَى ثُمَرَهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَسْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

ويمنعه : أي ونضجه

ما حكمة ورود هذه الآيات الكثيفة ، المتتابعة التي تتحدث عن الكون بعد آيات سيدنا إبراهيم ؟ هذه الموضوعات ، فكّر في هذه الموضوعات ، فكر في هذه الآيات ، لا بد من أن ترى الله من خلالها هذا هو الطريق إلى الله ، ومن لم يسلك هذا الطريق فلا جدوى من صلاته وصيامه ، لأنّه يصلّي ويكتسب ، يصلّي ويأكل مالاً حراماً ببعده عن الله سبحانه وتعالى محروم من السعادة ، بمعاصيه حرم من الإقبال على الله ، وبحرمانه من الإقبال على الله حرم من السعادة لذلك لا ترى بين المسلم الذي يرتكب المعاصي وبين غيره فرق يذكر كلّهما شقي ، كلّهما قلق ، كلّهما حائر ، كلّهما يخاف ، كلّهما خنوع ، إذا عرفت الله سبحانه وتعالى ، وقدرته حق قدره ، واستقمت على أمره ،

وتقربت إليه ، سعدت بقربه ، وصرت إنساناً متميزاً ترى ما لا يراه الناس ، وتسمع ما لا يسمعون ، وتسعد حين يشدون وتفرح حين يحزنون ، وتطمئن حين يقلدون ، هذا هو الطريق ، لن تقطع ثمار الإيمان إلا إذا سلكت هذا الطريق ، وهذه الآيات الكثير التي بثها الله سبحانه وتعالى تؤكد هذا. أيها الإخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطنا إلى غيرنا وتخطى غيرنا إلينا فلنأخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم .

معجزة الله في الكون وفي آياته

أيها الإخوة الكرام ؛ إنما لهذا الموضوع ، بعد هذا قال الله تعالى :
(ولَوْ أَنَّا نَرَأَنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَمْهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فَبِلَا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)

[سورة الأنعام]

لو أن الملائكة نزلت إليهم ، ورأوههم رأي العين ، وقالوا لهم : هذا النبي صادق ، والآخرة حق ، والحساب حق ، والنار حق .

(ولَوْ أَنَّا نَرَأَنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَمْهُمُ الْمَوْتَىٰ)

بعث الأموات من قبورهم ، وقالوا لهم : حقاً إن الجنة والنار بعد الموت لابد من أحدهما لو قال الأموات هذا .

(وَكَلَمْهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فَبِلَا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)

معنى إلا أن يشاء الله : يعني إلا إذا سلکوا الطريق الذي ذكره الله من قبل ، هذا هو الطريق الوحيد ، يعني لو أن الطالب ارتدى ثياباً بيضاء ، ووضع على عينيه نظارات ، لا يكون طبيباً ، لو أنه طبع دفتر وصفات لا يكون طبيباً ، لو أنه قرأ مجلات طبية ، لا يكون طبيباً ، إلا إذا دخل كلية الطب ، الطريق الوحيد .

(ولَوْ أَنَّا نَرَأَنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَمْهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فَبِلَا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)

لو أنه رأى جميع المعجزات ، بنوا إسرائيل رأوا البحر صار طريقاً ييسراً ، بعد أن تجاوزون قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة .. قال تعالى :

(وَجَاءُوكُمْ نَّاسٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَرِّ فَأَتَوْكُمْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إلَهًا كَمَا لَهُمْ إلَهٌ) (وَجَاءُوكُمْ نَّاسٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَرِّ فَأَتَوْكُمْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إلَهًا كَمَا لَهُمْ إلَهٌ)

[سورة الأعراف الآية: ١٣٨]

قوم صالح رأوا ناقة خرجت من الجبل فعקרוها ، ما من قوم رأوا معجزات فيها خرق لقوانين الكون فآمنوا بها ، الكون هو المعجزة ، إن لم تفك في الكون بوضعه الطبيعي ، بوضعه الراهن من دون معجزة ، من دون خرق لقوانينه ، لا تهتدى إلى الله عز وجل (ولو أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمْهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فَبِمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَكَيْنَ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ)

ومشيئة الله لا تكون إلا إذا سلك العبد الطريقة الوحيدة التي رسمها الله عز وجل في قصة سيدنا إبراهيم ، لا حظوا كيف أن الآيات يأخذ بعضها برقباب بعض ، كيف أن السورة وحدة متكاملة ، هكذا فعل إبراهيم ، هكذا تأمل في الشمس ، في القمر ، في النجوم ، توصل إلى أن هذه الآيات ليست آلة ، إلا أن هذه الآيات ليست آلة ، إنما هي آيات ، توجه للذى فطر هن ، من ثمار هذا الإيمان المبني على التفكير ، الطمأنينة ، الأمان الذى يفقده الناس إذا أشركوا ، إيمان ، فأمن فعبادة هذا هو الطريق .

(ولو أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمْهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فَبِمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَكَيْنَ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ)

يجهلون الطريق إلى الله عز وجل ، يظن أحدهم أنه إذا صلى فقد صار ديناً ، يصلى ويكتذب ، والطريق إلى الله مسدود ، يصلى ويأكل مالاً حراماً ، يصلى ويغش الناس ، يصلى ولا ينصحهم في معاشهم الدين النصيحة ، يصلى ولا يتورع عن الصغار ، إذاً مقطوع عن الله عز وجل ، إذاً النور لا يسري إلى قلبه ، آيات متكاملة ، الطريق أمثلة من الآيات .

تعقيب دقيق جداً وهام جداً : لن يؤمن الإنسان إلا إذا فكر بآيات الكون ..

أيها الإخوة المؤمنون ؛ هذا القرآن الكريم ، يقرأ للتفكير ، للتأمل ، للنظر ، للبحث ، للدرس أما أن تقرأ القرآن هكذا ، من دون عقل ولا فهم ، يقول ختمت القرآن والحمد لله ، هذا ليس من الدين في شيء ، اقرأ القرآن ، ولكن إذا شئت أن ينعكس كتاب الله في قلبك سعادة ، لابد من التأمل فيه وتدبّره لذلك أنسحكم أن ترجعوا إلى هذه الآيات في سورة الأنعام ، اقرؤوها بتأمل ، بتدبر ، بثناء ، بتؤدة ، بعناية ، واستنبطا منها ، ولابد من أن تطبقوها ، وإنما نكون أحسن الناس في هذا الكتاب .

(وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)

[سورة الإسراء الآية: ٨٢]

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت تبارك ربنا وتعاليت ، لك الحمد على ما قضيت ، نستغفك ونتوب إليك
الله هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ، ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا بها جننك ، ومن اليقين ما تهون علينا مصائب الدنيا ومتعمنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحبتنا واجعله الوراثتنا ،
واجعل ثأرنا على من ظلمتنا ، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ،
ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين .

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين .

اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتاك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك .

اللهم لا تؤمننا مكرك ، ولا تهلك عنا سترك ، ولا تتسلينا ذكرك يا رب العالمين .

اللهم استر عوراتنا ، وآمن رواعتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخيماً ، وسائر
بلاد المسلمين .

اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من
غضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء .

اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما
تحب .

اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار ، فنسألك شر خلقك ونبتلى بحمد من أعطى وذم من
منع ، وأنت من فوقهم ولهم فضلهم فأقررت أعيننا من رضوانك يا رب العالمين .

اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقررت أعيننا من رضوانك يا رب العالمين .

اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام والمسلمين ، وأعز المسلمين ،
وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى إنك على ما تشاء قادر وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين